واسعة فأدركت أن الحياة إذ تخدّر القاصرين من أبنائها رأفة بقصورهم لا تخدر ذاتها. وإذ تنبّههم لا تنبّه ذاتها. فهي فوق التخدير والتنبيه، وفوق الخير والشرّ، وفوق كلّ أصناف المتناقضات.

أمّا القلوب التي ما تزال على درجات متفاوتة من سُلّم النسبة ما بين الخير والشرّ، والمعرفة والجهل، والحرية والعبوديّة، فقلوب لا بدّ لها من جرعات متفاوتة من المخدّرات والمنبّهات، وعلى مدى من الزمان طويل. ومن هذه المخدّرات العدل، والمساواة، والإخاء، والحرية وما إليها. تقابلها من الجهة الثانية منبّهات هي الظلم، والمحاباة، والضغينة، والعبودية وأمثالها.

يختصم اثنان في أمر من الأمور فيهرولان إلى المحكمة. وبعد مناورات ومخاصمات قد تدوم عاماً أو أعواماً تلفظ المحكمة حكمها. فيقول الواحد: لقد عاد العدل إلى نصابه. ويقول الآخر: لقد طاش العدل من نصابه، ومعنى ذلك أن شهوة العدل قد تخدّرت عند الأوّل إلى حين، وتنبّهت عند الثاني إلى حين. وأمّا العدل المطلق فلا المحكمة أبصرت وجهه ولا المتخاصمان. وذلك العدل لو عرفه الناس يوماً لباتوا في غنى عن المحاكم وعن المحامين والقوانين.